



خطبة صلاة الجمعة 21 / 12 / 2018 للشيخ الطيب محمد خير الشعال, في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(صلة المفكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا، وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب 45].

روى الإمام البخاري عن عطاء بن يسار رضي الله عنه قال: «لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة. فقال: أجل، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سحاب في الأسواق -يعني صخاب-، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعينا عميا، وآذانا صمًا، وقلوبا غلفًا».

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب 21].

أيها الإخوة:

بمناسبة دخول شهر ربيع الأول شهر ولادة سيدنا محمد جاءت سلسلة الخطب بعنوان: صلة علمائنا برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لنزداد له محبةً ولنجتهد به اقتداءً ولنكثر عليه صلاةً، صلوات ربي وسلامه عليه.

تحدثت الخطب الماضية عن صلة الصحابة الكرام برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلة المحدثين والفقهاء والمزكين واللغويين والمفسرين برسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنوان خطبة اليوم:

صلة المفكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم

أيها الإخوة:

الفكر إن لم يوصل صاحبه إلى الحقيقة المطلقة يبقى قاصراً، والعقل إن لم يأخذ بيد حامله ليقف على باب خالقه يبقى ناقصاً، وإذا أوصله الفكر لحقيقة وجوده على هذه الأرض ، وأرشده العقل إلى واجبه عليها فهذا عنوان توفيق من حضرة الله تعالى لصاحب الفكر وحامل العقل، وهناك ينادي عليه القلب أن دعني أمزج عصارة أفكارك بحرارة أشواقى لتنادي على خالق الموجودات ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87].

ويُجمع العقلاء على أنّ هادي الطريق معينٌ على العقبات ، دليلٌ على المنجيات، فكيف إذا كان الهادي رسولَ الله محمداً صلى الله عليه وسلم، والحال أن الطرق كلها مسدودة على الخلائق إلا من اقتفى أثره وتبع خطوه.

ولأجل هذا تعلق الموفقون من مفكري هذه الأمة ؛ برسول الله صلى الله عليه وسلم محبةً وشوقاً، وتمسكاً بسنته ومنافحةً عنها، وهيبةً له وأدباً معه صلى الله عليه وسلم.

فأما محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له:

فقد عاش المفكر الإسلامي الكبير الملقب بفيلسوف الإسلام محمد إقبال مدة حياته في حب النبي صلى الله عليه وسلم والأشواق إلى مدينته، وطفحت الكأس في آخر حياته فكان كلما ذكر المدينة فاضت عينه وانهمرت دموعه، ولم يقدر لجسمه الضعيف الحجّ وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم إذ كان في زمان يعاني الأمراض والأسقام ؛ فرحل إلى الحجاز بخياله القوي وقلبه الولوع الحنون ، وتحدث إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بما شاء قلبه وحبه وإخلاصه ووفائه ، وتحدث إليه عن نفسه

وعن مجتمعه وعن عصره وعن أمته، وكان يقول: (إن قلب المسلم عامر بحب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهو أصل شرفنا ومصدر فخرنا في هذا العالم، إن هذا السيد الذي داست أمته تاج كسرى، كان يرقد على الحصير، إن هذا السيد الذي نام عبيده على أسرة الملوك كان يبيت ليالي لا يكتحل بنوم..).

وكتب في رسول الله صلى الله عليه وسلم شعراً كان من أبلغ أشعاره وأقواها.

نحنُ ممَّنْ جمَعْتنا أمةٌ	أرسلت للناس فيها الرحمةُ
فالنبيُّ الروحُ فينا والعصبُ	وإلى القلبِ من النفسِ أحبُّ
سفرُهُ في القلبِ نبغِ القوةَ	شرعُهُ حبلٌ وريدِ الأمةِ
قَطْعُ حبلٍ منه للموتِ رديفٌ	كذبُ الوردِ في ريحِ الخريفِ
وَحَدَّ المرسلِ فينا التَّغَمَّا	والطَّوايا والمنى والألما
بحرُهُ أخرجَ هذا الجوهرَ	نحنُ روحٌ واحدٌ منه سرى
إنَّه قوَّةٌ هذي الملةِ	إنَّه سرُّ اتحادِ الأمةِ

لما نشرَ رعاغُ غرييون صوراً مسيئةً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم طُلبَ من عددٍ من مفكري الأمة وعلمائها كتابةً حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم للذود عنه، فكان مما كتبه الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله:

(سيدي رسول الله: لقد رويانا أنك قلت: «**طوبى لمن آمن بي ورآني، ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن لم آمن بي ولم يريني**» [مسند أحمد] ولقد رويانا في الصحيح قولك يوم سلمت على أهل البقيع: «**وددت لو أني رأيت إخواننا...**» وها نحن يا سيدي -إخوانك المؤمنين بك- نبادلك اليوم شوقاً بشوق...، نخطبك من وراء أسوار القرون التي حجبنا عنك وكلنا يقين بأن الله يُسمعك تحيتنا ونجوانا كما يسمعك تحيتنا التي نخطبك بها في صلاتنا... أما الأمل الكبير الذي لن يذبل في نفوسنا فهو أن نلقاتك يا سيدي على حوضك وأنت تستقبل أصحابك الذي عرفتهم ورأوك وإخوانك الذين تشوفت إليهم ولم ترهم واستبد بهم التحنان إليك، تستقبلهم مشرق الوجه باسم الحيا وقد أكرمنا الله بالدخول في شفاعتك الكبرى التي ستحط عنا أثقال ذنوبنا وعظيم تقصيرنا).

إنك تقرأ حبَّ الموفقين من مفكري هذه الأمة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشوقهم إليه في كلماتهم وبنات أفكارهم.

وأما تمسكهم بسنته صلى الله عليه وسلم ومنافحتهم عنها:

فأقرأ في كتابات وحيد الدين خان، وهو مفكر هندي معاصر ربت مؤلفاته على الخمسين منها: الإسلام يتحدى، والإسلام والعصر الحديث وحكمة الدين وغيرها، أقرأ في مقدمة كتابه عليكم بسنتي قوله: (إن أهمية السنة في الدين بالغة جدا فكل ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم أو عمل به هو معيار للمسلمين ومقياس لعملهم، إذ يلزم علينا نحن المسلمين أن نطبق سنته صلى الله عليه وسلم في كافة ميادين الحياة وأن نقلده في الأمور كلها ففي اتباع سنته يكمن سر النجاة في الدنيا والآخرة... إن كل ما يهمنا أولا وأخيرا هو أن نطبق أوامر الرسول وأن نجعله أسوة لمسار حياتنا، وإن النعم التي نرجو حصولها ستكون نتيجة لاتباع الرسول وليس بناء على ما ألقينا من محاضرات نفخر فيها بعظمة الرسول).

وكتب الشيخ محمد الغزالي المعاصر في كتابه ركائز الإيمان يقول: (ونبي القرآن كان في حياته الخاصة المثال الأول والأزكى والأرقى لكل ما أَرْضَى به الله ووجه إليه العباد... أمر الله بفرائض، وحث على نوافل، وأحل حلالا، وحرم حراما، ووضع حدودا، وساق عبرا، وإنك واجد ذلك كله "نظريا" في كتاب الله، ولكنك واجد التنفيذ "عملي" له ظاهرا وباطنا في سيرة سيدنا محمد نبي القرآن صلى الله عليه وسلم).

وكم في المكتبة الإسلامية من كتب ألفها مفكرو الأمة ينافحون فيها عن السنة المشرفة من ذلك: حقائق وشبهات حول السنة النبوية لمحمد عمارة، والحديث والمحدثون لمحمد أبو زهو، ومنهج النقد في علوم الحديث والسنة ومكانتها في التشريع والسنة المطهرة والتحديات والسنة النبوية في مواجهة التحديات وغيرها وغيرها كثير.

فمنافحة المفكرين عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بها عنوان سعادتهم وسعادة الأمة بهم.

أما أدبهم مع النبي صلى الله عليه وسلم وإجلالهم له:

فمشهورة قصة محاضرة الشيخ الغزالي عن الرسول صلى الله عليه وسلم التي بكى فيها وأبكى، وذلك أن إحدى جامعات الجزائر دعت الشيخ لإلقاء محاضرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما

إن دخل الشيخ القاعة التي غصت بالطلبة حتى جلس يغالب دمعته، ثم قال بصوت متقطع : ... أنا... أنا... مثلي يتحدث عن محمد!!!

وأجهش باكياً، وطال بكأؤه، ثم قام خارجاً من القاعة ودموعه لا تتوقف، والطلبة بين بكاء وتعجب.... فكانت أبلغ محاضرة وأعمقها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم. وقد كتب الدكتور البوطي رحمه الله في عام يقول: (سيدي رسول الله: قيل لي ألا تكتب فصلاً في الدفاع عن المصطفى عليه الصلاة والسلام، فقد استشرت جرأة الكائدين له والحاquدين عليه من صعايلك حبي بن أخطب وكعب بن أسد... قلت: وهل في الدنيا من يملك أن يضع حبيب الله محمداً في قفص الاتهام حتى يحتاج إلى تافه مثلي يقف منافحاً ومدافعاً عنه...؟

إنني لا أرقى إلى أن أكون بمستوى التراب الذي تشرف بقدمي رسول الله، وإن صعايلك الدنيا كلهم لو تحولوا إلى كناسين يثيرون من غبار الأرض وأتربتها غيوماً داكنة ابتغاء النيل بها من شمس النبوة المحمدية التي امتدت أشعتها ولا تزال إلى سائر الآفاق لن يؤول مال تلك الأتربة والأوساخ إلا عوداً إلى رؤوسهم... وستبقى شمس النبوة المحمدية صافية مشرقة تتلألأ...)

لقد جلال الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الموفقين من مفكري الأمة الإسلامية، واستحوذ عليهم إجلال رسول الله وتوقيره.

وبعد أيها الإخوة:

هذا شيء من صلة المفكرين بالنبي صلى الله عليه وسلم وتعلقهم به: يحبونه ويشتاقون إليه، ويتمسكون بسنته وينافحون عنها، ويتأدبون معه ويحفظونه.

فإذا كان هذا حال أولئك الأعلام فما عسانا نفعل لنزداد قرباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلقاً به؟

أقترح عليك أربعة أمور:

- 1- اقرأ شيئاً من حديثه صلى الله عليه وسلم وسيرته واحفظ شيئاً من الحديث.
- 2- الزم ورداً يومياً بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، واحضر مجلساً للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مرة كل أسبوع.
- 3- طَبِّقْ ما استطعت من سنته
- 4- اصحب من أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب 56].

والحمد لله رب العالمين